صورة وطبيعة الشكل الروائي في الرواية الجزائرية المعاصرة
فتاوى زمن الموت لإبراهيم سعدي أنموذجا

د/ علي حميداتو
جامعة البليدة 2

تتحدد طبيعة الشكل الروائي في هذه الرواية من خلال الجدل بين العنصرين الأساسيين فيه وهما بنية الحدث الروائي، والكيفية المستخدمة في سرد هذه الرواية، ويفضي الجدل بين العنصرين السابقين من ناحية، والعناصر الأخرى المسهمة في الشكل-كالشخصيات واللغة المستخدمة- من ناحية أخرى، ثم بين الشكل بوصفه كلا- والمحتوى/ الموقف من ناحية ثانية- إلى إكساب هذه الرواية خصوصيتها الفنية ضمن "كتابة الأزمة الجزائرية في التسعينيات خاصة" وتبعا لذلك فإن هذه الرواية صورة من صور العنف في المجتمع الجزائري إبان فترة الأزمة التي عصفت بأهله.

تعد هذه القراءة لرواية الأستاذ "إبراهيم سعدي " (فتاوى زمن الموت) الصادرة عن منشورات التبيين/ الجاحظية بالجزائر سنة 1999 محاولة متواضعة لتفكيك جزء من بنيتها الكبرى، وأعني بذلك معالجة الشخصيات في علاقة بعضها ببعض ، ومحاولة تأويل شبكة هذه العلائق ضمن منطق الحكي فيها والقائم -كما نرى- على الصراع والتضاد .

وقد توخيت في هذه القراءة مبدأ التجرد والحياد تفاديا للتقويمات الأحادية الجانب القائمة على تباين الأصوات وعلى مرجعيات ذاتية.

كما أنني لا أزعم بان هذه القراءة المتواضعة قد استوعبت الزاوية المعالجة من الرواية. وذلك لشدة التعقيدات بين شخصياتها والقائمة أساسا على جدلية الظهور/ التخفي، والثبات / التحول ، وهي قائمة — فيما أرى وأعتقد — على اختيار جمالي للكاتب أو رؤية ذاتية، استطاعت أن تستوعب الأزمة التي مرت بها الجزائر في العشرية السوداء.

ومن هذا المنطلق يعتبر الروائي "إبراهيم سعدي " خير من كتب عن هذه الأزمة وكان ذلك منطلقا لتأسيس عنوان لهذه القراءة من وجهة النظر السالفة الذكر فكان" صورة وطبيعة الشكل الروائي في الرواية الجزائرية المعاصرة".

تطالعنا الرواية منذ البداية، ويقدم فيها الروائي شكلا من أشكال الصراع والتضاد بين شخصياتها، فتظهر لنا شخصية"عمار بائع الخردة" وشجاره مع "حسين الميكانيكي" كمقدمة وتوطئة، بل قاعدة حكي ليظهر التفكك

بين أبناء الحي وقاطنيه من جهة، وتوطئة لقيام بديل آتي وهو اجتياح الحي بموجة تقوى ظاهرها جمع أبناء الحي وفي باطنها إذكاء نار الفتنة والشقاق.

إن هذا التفكك بين قاطني الحي جعل منه مكانا ومستقرا للغرباء عنه، فما شخصية "بورأسين" و"الشيخ عبود" و"مجنون مريم" و"العجوز الأسبانية" إلا رمزا لموجة التقوى الدخيلة والغريبة عن الحي.

فأشكال التضاد بين شخصيات الرواية وفي منطق سردها كما أرادها كاتبها نوضحه في شبكة العلائق التقابلية الآتية:

- بين عمار بائع الخردة/ وزوجته خديجة الحسناء وعديمة الرحمة.
- بين عمار/ وأبنائه.
- بين عمار/ وحسين الميكانيكي.
- بين زوجة عمار/ ونساء الحي.
- بين ابن عمار البكر من الزوجة الثانية/ وحسين الميكانيكي.
- بين أبناء عمار/ وأهالي الحي.
- بين قدور/ وأبيه الإمام.
- بين عنتر/ وقدور.
- بين زكرياء/وإخوة الغجرية التي غررت به وحملت منه.
- بين موح"الراوي"/ وزربوط بعد تحول هذا الأخير إلى متدين وتقي.
- بين زربوط/ وعنتر/وموح"الراوي"
- بين مسعود/ وموح/ ومبروك الملاكم.
- بين ياسين الحزين/ وأخته "خوخة" وأبيهما/ وأخوهما "إبراهيم"
- بين مسعود/ وموسى.
- بين موسى وزربوط/ وعنتر ومسعود.
- بين خوخة بعد عودتها/ ونساء الحي.

فبين هؤلاء جميعا من تضاد ما هو إلا دلالة ورمز للتفكك الأسري ،وتفكك المجتمع، للدلالة على القاعدة الهشة والمرجعية المزيفة لموجة التقوى والتدين التي اجتاحت الحي واحتضنها أبناؤه. ولذلك كان طبيعيا ان يحمل التدين شخصيات لها ماضي فضيع كـ"زربوط" وتحوله بعد ذلك إلى تقي وورع وأصبح يلقب باسمه(سليمان). وكأبناء"عمار بائع الخردة" الذين كانوا عاقين له، فتحولوا إلى متقين بل إلى إرهابيين. و"عنتر" عاشق القيثارة وأغاني عبد الحليم حافظ ليتحول هو كذلك إلى سفاح، بينما احتلت شخصية "موسى"الإمارة فهو الأمير الناهي والآمر فهو مفتي الجماعة زمن الموت، ولذلك لم يكن ماضيه به نواقص تشينه ولذلك اختاره الروائي ليتقلد هذه الإمارة عن قصد.

كما إن اختيار الروائي أسماء شخصياته كان عن قصد ووعي مما شكل لذلك تضادا وتقابلا بين الأسامي فـ: سليمان – زكرياء –ياسين –وخديجة- مريم - إبراهيم – موسى –وصالح لها مرجعيات دينية فكل الأسماء الذكور أنبياء الله سبحانه وتعالى، بينما "خديجة" و "مريم" فلهما مرجعية دينية خاصة، أما "خديجة"فهي زوج" النبي محمد صلى الله عليه وسلم" ثم إنها إحدى النساء اللواتي كمل إيمانهن مصداقا لقوله صلى الله عليه وسلم-في معنى حديثه-: كمل من الرجال كثير وكمل من النساء إلا أربع وهن: فاطمة بنت محمد، وخديجة، ومريم ابنة عمران، وآسيا زوج فرعون. وأما "مريم"إضافة إلى كونها ممن كملن، كما أشرنا فهي عنوان الطهارة.

وفي الطرف المقابل أسماء أخرى من مثل: موح – مسعود- خوخة – قدور – الشيخ عبود – بورأسين –عمار – حسين –إيسو- حجا. فهذا التقابل ما هو إلا تعبير عن شكل من أشكال الصراع بين المتقين في الحي والمفسدين في الأرض.

كما أن التحول في الشخصيات سمة بارزة في الرواية وهو يبرز كذلك التحول الفجائي للمجتمع من دون أرضية أو مرجعية تشكل قاعدة منيعة تحول ضد انحرافه إلى حد القتل وهدر الدماء بفتاوى مجانية، وكمثال على هذا التحول نجد شخصية "زربوط" وتحوله إلى متدين ، قدور، عنتر، أبناء عمار بائع الخردة، وتحولهم فجأة دون سابقة إلى متقين وإرهابيين يقومون حدود الله على المفسدين من أبناء الحي ومرتديه بفتاوى موسى المجانية.

إن هذا التغيير الذي اجتاح أبناء الحي كان تغييرا زائفا، عبرت عنه ورمزت له بعض شخصيات الرواية كـ: زربوط ، وقدور، وعنتر ، وأبناء عمار ، للدلالة على زيف هذه الموجة من التقوى كما ترمز شخصية" بورأسين" الغريب عن الحي وكناية عن الفهم الزائد من جهة كغربة الموجة نفسها عن سكان الحين وجهله لاسمه وسنه فلا يذكر اسم أمه ولا أبيه ولا من أين جاء؟ وأين ولد؟ وهي رمز- أي الشخصية – إلى اللاخلفية معرفية للموجة بل لا أصل لها ولا فصل ولا عنوان حتى، وحتى وإن تغير بعد مدة مظهرها ، ومقامها الاجتماعي، فهي لا تزال لا تذكر لا اسمها ولا نسبها ليعزز الراوي الشرخ الكبير لهؤلاء المتقين، بين أفعالهم وأقوالهم، حال ماضيهم الفظيع إذ لا يستقيمان، كالتغير الذي طرأ على مظهر ومقام "بورأسين" ولكنه لا يزال جاهلا لأصله وفصله ، فكان طبيعيا أن يتجه منطق سرد الأحداث لهذه الشخصيات وتتخذ الانحراف لممارسة كل أشكال القتل والتنكيل والدمار بذريعة واهية كونهم القائمين على تطبيق حدود الله في الأرض ونسيان أنفسهم.

فحدث الرواية إذن قائم على الصراع –كما أسلفنا الذكر- وظهر ذلك لنا منذ بدايتها أين تشاجر" حسين الميكانيكي" و"عمار بائع الخردة" ((يوم ذاك سمعت حسين يرغي ويزبد لأول مرة صارخا في وجه عمار:

- أبناؤك نشأوا في إسطبلات... إنهم لا يختلفون عن البهائم.

كان عمار آنذاك يتصبب عرقا ووجهه المقعر غير الحلق قد اصفر.

– كأن هذا يعني أن إخوتك أنت من عباد الله! انظر إليهم جيدا إذن إنهم دون مرتبة الحيوانات(1)

يمكن اعتبار هذا التشاجر توطئة للدخول إلى عالم الصراع الحقيقي بين أبناء الحي وهو– الذي بيناه سابقا– بينما المحور الذي يدور حوله الصراع هو الانتقام للدين تارة وللعرض أخرى كما في الأمثلة التالية:

*الانتقام للعرض: " وقد بادر إلى ذلك بالرغم من أنه لم يكن لديه أية معلومات عن المدينة التي هربت إليها خوخة مع جورج بيلتان، ولعل هذا يدل على أن حاجته إلى الانتقام منها قد بلغت حدا لا طاقة له عليه"(2)

*الانتقام للدين: " في ذلك اليوم، بعد ذهاب خوخة تقدم زربوط نحوي وقال لي:

– كيف تسمح لنفسك بالكلام مع تلك الزانية يا موح؟

– لقد جاءت تسأل عني، عادي أن أعرف ما حاجتها إلي.

– الجميع مستاء منك، لو كنا في دولة إسلامية لأقمنا حدود الله عليها"(3)

* " عمل تلك الفاسقة من الكبائر، فهي لم تزن فقط، بل تزوجت من نصراني. لو كانت تقاو حدود الله في هذا البلد ما حدث هذا العار"(4).

* " وجدنا إسمك أنت أيضا في القائمة.

بقيت عدة لحظات صامتا أحدق في الرجل الذي جعل يمسح زجاجة نظارتيه بالمنديل ثم سمعتني أتمتم قائلا:

- يعني أن موسى أفتى بقتلي أيضا ! (5)

فالصراع في الرواية عموما يكتسي طابعا دينيا بحت بين المتدينين(الإرهابيين) وغير المتدينين وهم الذين مرقوا عن الدين فهؤلاء كفرة في نظر أولئك.

ولهذا اكتسب الصراع بعدا أخلاقيا واضحا، ومن هذه الجهة يتبين أن حركة الشخصيات الأخرى في الرواية في عمومها تتخذ أدوارها تبعا لعلاقاتها بطرفي الصراع الذي بين موسى وأشياعه/ ومسعود وأصحابه، وإن لم يثبت أصحاب مسعود معه بل شاب العلاقة التي بينه وبينهم تعثرات فبقي وحيدا ، وهكذا تحول عنه أصحابه إلا من موح" الراوي" وإن كان تضامنه معه ظل خفيا وباهتا في غالب الأحيان، إذ ابتعد "موح" عن الحي – كشكل من أشكال الهروب– مدة طويلة وترك الأصحاب يتحولون عن "مسعود" كـ"عنتر" أقرب صديق له، وتحول إلى عدو لمسعود وكان بذلك مقتله على يديه.

فإذا كان "عنتر وزربوط(سليمان بن إبراهيم)" و"جحا(نذير بن عبد الله)وهو احد أبناء عمار بائع الخردة يمثلون المساعد لموسى وإن اختلف دور كل واحد منهم في ذلك إلا أنهم يشكلون جميعا اليد التي يبطش بها "موسى" ومطاردته لخصومه المارقين عن الدين كـ: "مسعود ، وموح "السارد" أخي موسى.

إن بنية الحدث الروائي – في فتاوى زمن الموت – تتأسس حول الانتقام والمطاردة مما يجعل من الحركة فيه عنصرا قائما على الفعل ورد الفعل المتبادل ، فمحاولات "موسى" وجداله مع "مسعود" لم تزد هذا

الأخير إلا إصرارا ورد فعل عكسي على المضي قدما فيما يعتقده صحيحا حيث استمر هذا الجدال سنة كاملة لم يفلح فيها "موسى "إقناعه وبالتالي هدايته فأفتى بقتله أخيرا ووجوب مطاردته بمساعدة أقرب صديق له وهو" عنتر". كما يمكننا تصور البنية المجردة لأحداث الرواية على النحو الآتي:

يمثل رحيل مريم عن الحي بزوغ فجر جديد وهو هبوب موجة من التقوى والعفة على سكانه ما مثل انطلاقة للصراعات الحقيقية بين أبنائه ، ثم انتقام بعضهم من بعض، لأن ما وقع قبل ذلك بسنوات عديدة هو المحرك الذي حدد حركية هذه الأحداث وطبيعتها.

فتشاجر" حسين الميكانيكي" و "عمار بائع الخردة" ومحاولة الإبن البكر لعمار الانتقام لأبيه في بداية الرواية ما هو في الحقيقة إلا بداية للحدث الرئيسي فيها ومن هنا يمكننا اعتبار بداية الرواية هي بداية الحدث أيضا.

فبداية حدث الصراع بين "موسى" وأشياعه ضد المارقين عن الدين كـ(مسعود) مثلا و"موح السارد" ناتج سببيا عما قبله من احداث كان عنوانها الأساسي الصراع لكنه بعدها- أي بعد موجة التدين- اتخذ شكلا آخر وهو الانتقام من الأعداء وإن كانوا أخوة في ذلك، هذا من ناحية، ومن ناحية ثانية لكل ما سيتلوها من أفعال.

يسعى البطل "موح" الضحية بمفهوم(بروب) منذ البداية إلى الإنظمام إلى طريق "مسعود" ويسعى "أخوه وزربوط" أن يبعداه عن ذلك الطريق فهو بذلك واقع بين مسلكين متعارضين أو لنقل مشدود بين رغبتين متعارضتين، رغبة أخيه "موسى وزربوط" في أن يصبح واحدا منهم(من الذين هداهم الله) ورغبته هو أن لا يسلك طريقهم وينظم بالتالي إلى طريق "عنتر ومسعود" لأنه ببساطه لا يرى نفسه ما رقا عن الدين.

وتتحدد حركة البطل – ومن ثمة الحدث –تبعا لدور العوامل التي تدفع به إلى متابعة أحد المسلكين السابقين، ومن الجلي أن نذكر أن ثمة عوامل عديدة كانت تدفع بالبطل منذ البداية إلى أن يمضي في طريق مغاير لطريق أخيه "موسى وزربوط وأشياعهم" ومن أهمها: -كيف أن "زربوط" الشيطان وتاريخه معروف لديه أن يصبح هاديا للناس؟- كيف بموجة التقوى الزائفة أن تكون عنوانا ودستورا يمشي به أبناء الحي، فهم زائفون كلهم وتاريخهم يشهد بذلك؟

وهذا يعني أن أفعال هؤلاء وجرائمهم الشنيعة وتاريخهم المشهود هي التي قامت بتقوية رغبة البطل في أن يسلك طريقا غير طريقهم.

كما يمكن أن يشير تجريد هذه البنية إلى الاهتمام برسم شخصيات إنسانية تؤثر في المتلقي. فبنية الحدث في رواية(فتاوى زمن الموت) يقوم في لبها على المطاردة والفعل الذي لا يحقق هدفه تزداد المطاردة فيه شدة وعنفا ويقترن بذلك الرسم المتأني لشخصية البطل من ناحية وتعميق بعض الجوانب الإنسانية كعلاقة البطل بـ(خوخة) ومساعدته لها على الرغم مما يعلمه بشأنها ثم الاهتمام بتقديم رؤية عميقة تنطلق من الواقع

الجزائري في التسعينيات ثم السعي إلى تجاوز هذه المحنة بطرح رؤى تتعلق بالقيم الإنسانية التي يجب أن تسود في الوطن والمواطن.

ولعل من أبرز التقنيات الزمنية المستخدمة في السرد في هذه الرواية هي تقنية الحلم. وقد تجلت بصفة بارزة في (الفصل الحادي عشر) حيث كثف الراوي الحلم وذلك بإيراد عديد النبوءات التي تشير إلى مصير (البطل موح) . واستخدام هذه التقنية يمكن من التداخل بين مسارات زمنية متعددة كما نرى في هذه الامثلة:

– " وقد أصبحت أرى منا مات أذبح فيها دائما بحيث أنه لو حدث ذلك في الواقع لكانت رقبتي قد قطعت عدة مرات"(6)

– "وآخر حلم رأيته ظهر فيه عنتر بلحية طويلة رغم أنه لمرد في الحقيقة، وقد كان معه أشخاصا مجهولون تسللوا إلى البيت عبر الباب والنوافذ والشرفة بدون إحداث ادنى جلبة كالشياطين. وبينما المجهولون يمسكون بي في فراشي مسك الكباش لحزة الذبح، جعل عنتر بعدما قرأ علي الفاتحة يجز عنقي بسكين طويل وعريض من النوع الذي يستعمله الجزارون في عملهم"(7).

– " وفي حلم آخر رأيت أخي موسى يفتي بقتلي في الغرفة التي اشتركنا فيها منذ أيام الطفولة، بينما زوجته وأخوها المدعو صالح صويلح يقطعان رقبتي بالمنشار ، كل واحد منهم يمسك به من جانب ، يتجاذبانه تارة إلى جهة هذا وتارة إلى جهة تلك"(8).

– "وفي إحدى المرات رأيت نفسي في فراش واحد مع شخص مجهول نهض بغتة وشطر رأسي بالفأس"(9).

إن تقنية الحلم التي استخدمها (ابراهيم سعدي) في هذه الرواية تكشف عن خصيصة الحرية في الانتقال من زمان إلى آخر كما يمكن استخدامها في تقنيات تيار الوعي فتصبح واحدة منها(10).

فإذا كانت تقنية الحلم السالفة الذكر قد أسعفت الكاتب الانتقال من زمان إلى آخر بحرية كاملة وقد تركزت أساسا حول مصير البطل مستقبلا ، فإن تكثيف اللواحق السردية في هذه الرواية قد شكل عنصرا جليا من العناصر الأساسية في السرد كذلك، وإن كانت هذه التقنية تكشف للقارىء – عادة – في كل مرة عن معلومات عن ماضي شخصية أو اطار أو عقدة أو سد ثغرة في النص ، أي استدراك متاخر لإسقاط سابق مؤقت(11) إلا أن هذه اللواحق في الرواية(فتاوى زمن الموت) وردت في أغلبها إن لم نقل كلها في السرد تذكيرا بأحداث سابقة عاشها البطل(موح) لتأويلها تأويلا جديدا حسب معطيات جديدة متأتية من الأحداث الواردة بعدها والمقتطف الآتي دليل على ذلك:

((في الطريق الرابط بين"يكوران" و "أذكار" المار وسط غابات الزان والخالي تقريبا من حركة المرور، تذكرت الشيخ عبود، خاصة خطبته التي ألقاها يوم دفن إبراهيم، وكيف تحدث فيها عن قتل الأخ لأخيه عن قابيل وهابيل ، في ذلك اليوم ظن الجميع أنه كان يشير إلى دور ياسين الحزين في مقتل أخيه، الآن فقط أفهم أنه كان يشير إلى هذا الزمان)) (12).

أما المونولوج الداخلي فقد كان استخدامه كثيرا على غرار الحلم واللواحق السردية، وذلك بسبب أن الراوي حاضر كشخصية في الحكاية أي أنه يروي أحداثها ويلفظ هذا السرد باستعمال ضمير المتكلم فهو بطل سرده، إضافة إلى كونه كشفا حرا عن الشعور الذي يعتمل في نفسية البطل في لحظة ما .

لقد كانت المونولوجات في الرواية جانحة إلى القصر لكنها في الفصل الأخير منها مالت إلى الإطالة حتى يكشف بها الكاتب عن الجوانب المتعددة من العالم الداخلي للبطل، وبذلك يتيح الكاتب للقارئ الكشف عن أحد هذه الجوانب للتفاعل معها عن قصد. ومن ذلك المقتطف الآتي:قبيل لقاء (موح) مع (خوخة) اللقاء الثاني .

يقول الكاتب :" في اليوم التالي وجدتني أنهض إلى دائرة البريد المركزي وأنا لا أعلم بالضبط إن كان ذلك من أجل الوفاء بالوعد لا غير أم سعيا وراء أجوبه عن الأسئلة التي ما فتئت أطرحها على نفسي طوال الليل. ما الشيء الذي حمل خوخة على الرجوع إلى الحي؟ كيف تجرأ على ذلك رغم تسببها فيما اعتبره الجميع أكبر فضيحة عرفها الحي؟ هل هي على علم بانتحار أخيها ياسين؟ ماذا جرى لها مع جورج بيلتان؟ ماذا تريد مني؟ أسئلة بقيت أطرحها على نفسي في الحافلة التي كانت تقودني إليها..."(13).

إن حضور الراوي العليم في سياقات السرد بفرض عليه أن يكون عالما بكل ما يتصل بالشخصية التي يحكي عنها ن وبما وقع لها فعلا ، وما استعمال الكاتب لصيغ(البناء للمعلوم) لدليل على ذلك ، بحيث لم يورد الكاتب تعابير من صيغ (البناء للمجهول)وذلك لعلمه ويقينه بما يسرد من أخبار الشخصيات، ولأجل ذلك جاءت هذه الرواية مصورة – برؤية واقعية فنية — من الكاتب لتصوير أشكال العنف الذي قهر أبناء الحي.

تقدم الرواية — تبعا لذلك — رؤية المؤلف (إبراهيم سعدي) لمسألة العنف الذي مورس على المجتمع الجزائري في فترة التسعينيات، وكيفية القضاء على هذا العنف(الإرهاب) أو التخلص منه. فقد وضحت الرواية أشكال هذا العنف من قتل وإراقة للدماء ، وتنكيل وذلك بمجرد دخول الغرباء عن الحي، ومن ثمة تحول بعض أبنائه إلى قاهرين ومعتدين على بقيته، فقد كان الإرهاب والعنف يتصاعدان طوال الفصول التي حوتها الرواية وبالتحديد مذ رحيل مريم في نهاية (الفصل الثالث) إلى الفصل الأخير(الحادي عشر). وما تصاعده ههنا إلا دلالة على شمولية هذه الظاهرة، فلم يسلم منها من أبناء الحي لا الشيخ ولا الشاب ولا الطفل.

لقد كان تركيز الكاتب على تصوير هذه الجوانب الخفية للإرهاب وآثاره النفسية على الفرد والمجتمع، موضحا انقسام المجتمع إلى طبقتين اثنتين برؤية مخالفة لكل منهما تجاه العنف والإرهاب عامة أين انتمى البطل إلى أولئك الذين يريدون الخلاص منه.

وإذا كانت الرواية قد صورت أشكال العنف وآثاره على الفرد والمجتمع الجزائري ، فمن الجلي أن الخلاص منه يأتي بتضافر جهود المواطنين وببطولة جماعية أين يشترك المواطن والسلطة في محاربته، دون أن

نلغي دور البطل(موح) وهو أكثر الأدوار فعالية في محاربة الإرهاب بإرادة فردية وهو التبليغ عن أفراد الجماعة الإرهابية. ولذلك يمكن أن تكون شخصية(البطل) رمزا للإنسان الباحث عن تحقيق الخلاص من موجة الإرهاب التي عصفت بالجزائر.

وبما أن الكاتب (إبراهيم سعدي) يتوجه نحو قارئ عام ، فإن لغته المستخدمة في هذه الرواية هي الفصحى المعاصرة لأنه يدرك أنه يتوجه بنصه هذا إلى قراء ذوي مستويات ثقافية مختلفة مما جعله لا يثقل قراءه بلغة صعبة قد تقف عائقا أمام متلقيه وهذا هو سر بساطة لغة الرواية .

وعلى الرغم من أن شخصيات الرواية من طبقة شعبية فقيرة تستخدم العامية الجزائرية في حياتها اليومية لكن الجميل أن الكاتب استطاع أن يجعلها تنطق بهذا المستوى اللغوي الفصيح.

وظف الكاتب هذا الأسلوب من التعبير في أغلب فصول الرواية، ومع ذلك لا ننفي وجود مستوى ثان وهو فصحى التراث ولكنه قليل مقارنة بالمستوى الأول المذكور –وفي ذلك مقصدية– وهو المستوى الذي تستخدمه شخصية(موسى مفتي الجماعة، وزربوط وأعوانهم) في بعض الحوارات خاصة حوار "موسى ومسعود" وحوار "زربوط وموح" وفي (خطب الشيخ عبود) حيث نجد سمة أسلوبية وهي (التناص).

ومن الواضح أن معظم صوره قد وردت على لسان المتدينين من أبناء الحي كـ(شخصية موسى وزربوط) وعلى لسان (الشيخ عبود) ذلك المتنبئ الصوفي الذي كثيرا ما كان يتمتم في الجنائز بكلام خافت لا يعلم كنهه أحد(14) ونجد ذلك في حوار زربوط وموح (البطل) حينما قال له زربوط: من رأى منكرا.... فهو يشير بذلك إلى قول النبي صلى الله عليه وسلم: ((من رأى منكم منكرا فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان)).

فصور التناص مستمدة في أغلبها من الأحاديث النبوية الشريفة وآيات القرآن الكريم، حتى تكون عنوانا لهؤلاء المتدينين ولذلك الصوفي المتنبئ. كما تعكس هذه الصور القيم التي يدعوا إليها هؤلاء وإن كانت مزيفة كما تصور الرواية. كما يمكن تأويل هذين المستويين من التعبير في الرواية إلى أن أفراد المجتمع انقسموا وتشكلوا في طبقتين متمايزتين من حيث استعمال اللغة وطبيعة الاعتقاد، وهو الشرخ الذي أحدثته العشرية السوداء في المجتمع الجزائري وشطرته إلى قسمين فأصبح لكل فئة طريقة في التعبير واستعمال اللغة تختلف بها وتنماز عن الأخرى، وهذا ما سعت الرواية (فتاوى زمن الموت) تصويره.

الهوامـش:

(1) إبراهيم سعدي ، فتاوى زمن الموت(رواية) منشورات التبيين الجاحظية الجزائر 1999 ص3.

(2) الرواية، ص98.

(3) الرواية ، ص101-102.

(4) الرواية ، ص109.

(5) الرواية ، ص119.

(6) الرواية ،124.

(7) الرواية ،124.

(8) الرواية ، 124.

(9) الرواية ن ص124.

(10) سامي سليمان أحمد ، مدخل إلى دراسة النص الأدبي المعاصر، مكتبة الآداب، القاهرة، ط1، 2003، ص102.

(11) سمير المرزوقي ، وجميل شاكر، مدخل إلى نظرية القصة تحليلا وتطبيقا، الدار التونسية للنشر،(د-ت)ص82 بتصرف.

(12) الرواية ، ص126.

(13) الرواية ،ص102.

(14) الرواية، ص92.